

جامعة الأسكندرية  
كلية الفنون الجميلة  
قسم التصوير

## الضوء في التصوير الهولندي في عصر الباروك

The Light in Dutch Painting during Baroque period

رسالة مقدمة من الباحثة  
**أسماء حمدي حلمي محمد عبد الكريم**  
معيدة بقسم التصوير  
للحصول على درجة الماجستير في الفنون الجميلة - تخصص تصوير ( شعبية عام )

تحت إشراف  
**الأستاذ الدكتور / عبد السلام عيد**  
أستاذ غير متفرغ بقسم التصوير ورئيس القسم سابقاً  
**دكتورة / نيفين الرفاعي**  
مدرس بقسم التصوير

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله الذي خلق السموات والأرض  
وجعل الظلمات والنور "

صدق الله العظيم

\* سورة الأنعام

## شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل أن وفقني في إتمام هذا البحث ، ويسر لي كل السبل التي تعينني عليه ، وأنقدم بواهر الشكر لكل من قدم لي يد المساعدة في إخراجه وأخص بالشكر أستاذي الفاضل :

الأستاذ الدكتور / عبد السلام عيد استاذ التصوير بكلية الفنون الجميلة وكذلك الدكتورة / نيفين الرفاعي المدرس بقسم التصوير على تفضيلهما بالإشراف على هذا البحث وتقديم التوجيهات العلمية القيمة التي ساعدت على إتمامه .

والحمد لله رب  
العالمين  
الباحثة

## إهادء

أهدى هذا البحث إلى الرجل العظيم الذي وقف بجانبي طوال الوقت ؛ وهو أبي وأستاذي حمدي عبد الكريم لأنه المعن인 الأساسي لي بعد الله عز وجل على توجيهاته وإرشاداته وتحميسه في إنجاز البحث ، ولا أنسى أبداً أمي وزوجي الذين منحوني المساعدة والصبر في إتمام البحث ، كما أهديه لكل من أراد العلم والمعرفة عن فن الضوء بقيمه الجمالية والفنية في تلك الفترة .

## فهرست الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ .....	المقدمة
١	<u>الباب الأول : مدخل الى عصر الباروك</u>
٢	<u>الفصل الأول : من عصر النهضة الإيطالي الى الباروك</u>
٣ .....	خلفية فنية .....
٥ .....	التحولات الفكرية التي حدثت في القرنين الخامس عشر وال السادس عشر في أوروبا .....
١١ .....	الملامح والأفكار التي مهدت للقرن السادس عشر .....
١٢ .....	خاتمة لعصر النهضة .....
١٥	<u>الفصل الثاني : المتغيرات التي جدت على الحياة في عصر الباروك</u>
١٦ .....	الضوء في القرن السابع عشر.....
١٦ .....	معنى الباروك .....
١٧ .....	سمات عصر الباروك وكيف أثرت على الفن التشكيلي .....
٢٠ .....	تاريخ الباروك .....
٢٠ .....	عوامل ازدهار فن الباروك .....
٢١ .....	خصائص فن الباروك .....
٢٢ .....	القيمة الحركية للمكان في فن الباروك .....
٢٣ .....	نظرة عصر الباروك إلى العالم وأثرها في تناول المكان .....
٢٤ .....	تصوير عصر الباروك .....
٢٤ .....	التأسيس .....
٢٥ .....	رواد المدرسة الباروكية .....
٤٢	<u>الباب الثاني : القيم التعبيرية والرمادية للضوء وفن التصوير الهولندي</u>
٤٤	<u>الفصل الأول : دراما الضوء</u>
٤٥ .....	مقدمة .....
٤٦ .....	عالم الضوء .....
٤٧ .....	الفرق بين كلمة الضوء وكلمة النور .....
٤٨ .....	خصائص كل من الضوء والنور .....
٥٠ .....	أول إضاءة تعبيرية .....
٥٠ .....	طبقة النور ( سقف الأرض ) .....
٥٢ .....	الفرق بين تأثير كل من الضوء والنور .....

٥٣	تأثير لغة الضوء على الإنسان .....	-
٥٣	الهدف من دراسة القيم التشكيلية والDRAMATIC للضوء في العمل الفني .....	-
٥٤	نظرة فنانو الغرب وفنانو الشرق في عنصري الظل والنور .....	-
٥٤	الضوء التشكيلي .....	-
٥٥	الهيئة الفيزيائية للضوء التشكيلي .....	-
٥٥	مصادر الضوء التشكيلي .....	-
٥٥	نوعية الضوء .....	-
٥٧	أنواع الضوء التشكيلي .....	-
٥٨	الهيئة النفسية للضوء التشكيلي .....	-
٥٨	اتجاه الضوء التشكيلي .....	-
٦١	كمية الضوء وأثرها في تكوين الظل .....	-
٦٢	أنواع الظل .....	-
٦٣	حدة ونعومة الظل .....	-
٦٣	شكل وحجم الظل .....	-
٦٤	آثار الظل الحقيقة .....	-
٦٦	وظائف الظل .....	-
٦٧	الإضاءة والظل .....	-
٦٨	الرمزية الكامنة في الإضاءة والظل .....	-
٧٠	الغايات الفنية التي تتحققها الإضاءة في الفنون .....	-
٧٤	<b>الفصل الثاني : التصوير الهولندي</b>	

٧٥	مقدمة (فن الأرضي الواطئة) .....	-
٧٦	تأثير الحروب الدينية و المنازعات السياسية على الفن الهولندي .....	-
٧٧	طبيعة الموضوعات الهولندية مع بدايات القرن السابع عشر .....	-
٧٨	أساليب الفن الهولندي .....	-
٨٠	التصوير الهولندي .....	-
٨٣	الحياة والأدب في هولندا .....	-
٨٧	الفنون الهولندية .....	-

### **الباب الثالث: الضوء عند نماذج مختارة من مصوري هولندا في عصر الباروك**

٩٧	مقدمة .....	-
----	-------------	---

### **الفصل الأول : الضوء عند بعض الأساتذة الصغار**

١٠٠	الضوء عند جاكوب فان رويسدال Jacob Van Ruisdael .....	-
١٠٢	الضوء عند ميندرت هوبيما Meynndert Hobbema .....	-
١٠٣	الضوء عند بيتر دي هوتش Pieter Hooch .....	-
١١٠	الضوء عند جوديث ليستر Judith Leyster .....	-
١١٣	الضوء عند جان ستين Jan Steen .....	-

## الفصل الثاني: الضوء عند بعض الأساتذة العظام

١١٥	
١١٦	- الضوء عند رمبراندت .....
١٤٧	- الضوء عند فيرمير.....
١٧٨	- الضوء عند فرانس هالز .....
١٨٩	النتائج و التوصيات .....
١٩٠	مراجعة البحث .....
١٩٣	ملخص البحث باللغة العربية .....
١٩٧	ملخص البحث باللغة الإنجليزية .....

## فهرست الأشكال

الرقم	اسم الفنان	بيانات الأشكال	الصفحة
١	فريديريك بوريك	Aeneas flees burning Troy أينيس يهرب من الحرق - ١٥٩٨	١٣
٢	ليوناردو دافنشي	العشاء الأخير رسم على جانب غرفة الطعام في الدير الملحق بكنيسة "سانتا ماريا ديلا غرازي" - ١٤٩٨	١٤
٣	فان دايك	بورتريه الملك تشارلس الأول "ملك إنجلترا" - زيت على قماش - ١٦٣٥ - كاليفورنيا.. متحف اللوفر	١٤
٤	رمبراندت فان رين	صورة شخصية في سن مبكر - زيت على توال - ٢٢,٦ × ١٨,٧ سم - ١٦٢٨ - أمستردام - هولندا	٢٩
٥	فرانس هالس	سانت مارك (تفصيلية) زيت على قماش - ٥٢,٥ × ٦٨,٥ سم - معرض Colnaghi - ميونيخ	٢٩
٦	فان دايك	صورة شخصية صورة شخصية - ٣٢,٥ × ٣٧,٥ سم - زيت على خشب - ١٦٢٠ - المتحف الوطني - لندن .	٣٠
٧	دييغو فيلاسكيز	صورة شخصية - كاليفورنيا - ١٦٤٣	٣٠
٨	رمبراندت	فيليسوف يتأمل - ١٦٣٢	٣١
٩	فيرمير	منظر طبيعي لخلف - كاليفورنيا - ١٦٦١-١٦٦٠	٣١
١٠	مايكل أنجلو	أطفال يلعبون الزهر	٣٢
١١	تيتيان	صورة شخصية - ١٥٣٣	٣٢
١٢	رافائيل	مدرسة أثينا - تصوير جسي - * ١٥١٠ - ١٥٠٩ (أبعادها ٥٠٠ سم - الفتىكان قصر أبوستوليك)	٣٣
١٣	أنطونيو دي كوريجيرو	مريم والطفل يسوع - ١٥١٨ - (١٥٢٠)	٣٣
١٤	جوهانس فيرمير	تفصيلية الفتاة ذات القبعة الحمراء - ١٦٦٥ - زيت على قماش - ٢٢,٨ × ١٨ سم - المتحف الوطني للفنون - واشنطن (تفصيلية)	٣٤
١٥	رمبراندت	تفصيلية الحرس الليلي - ١٦٤٢ - زيت على قماش - أمستردام - هولندا	٣٤
١٦	للفنان الإسباني دييغو فيلاسكيز	وصيفات الشرف وصيفات الشرف - ١٦٥٦ - زيت على قماش - متحف برادو	٣٥
١٧	جان لورينزو برنيني	كتيسة سانت أندريا آل كوريجاله	٣٥

٣٦	قصر فرسای بفرنسا " من الخارج " - قصر ريفي لملك فرنسا .		١٨
٣٦	قصر فرسای بفرنسا - من الداخل		١٩
٣٧	مبني كنيسة القديس كارلو ذات النافرات الأربع بروما - ١٥٩٩ - ١٦٦٧ ) صممه المعماري فرانسيسكو بوروميني -	فرانسيسكو بوروميني	٢٠
٣٧	وازنة الذهب ( تفصيلية ) ( ١٦٦٤ - ١٦٦٢ )	جان فيرمير	٢١
٣٨	طبريا	بيتر بول روبنس	٢٢
٣٨	حانة الطريق المنحدر مع محبوته - ١٦٢٣	فرانس هالس	٢٣
٣٩	صورة لأدور نو دورازو كاتيرينا - ( ١٦٢١ - ١٦٢٢ )	أنطوان فان ديك	٢٤
٣٩	Aral do ديه لوكا - ١٦٠٠	كارافاجيو	٢٥
٤٠	وجبه والفالحين - ١٦٤٢	لويس لو ناثين	٢٦
٤٠	- " تفصيلية " عجوز في الصلة - ( ١٦٢٩ - ١٦٣٠ ) - كاليفورنيا	رمبراندت فان رين	٢٧
٤١	صورة لشاب - ١٦٢٥	جيانت لورنزو برنيي	٢٨
٤١	" نخب الملك " - متحف تاريخ الفنون بفينسا	جاكوب جورданز	٢٩
٩٠	كاتدرائية روان	كلود مونيه	٣٠
٩٠	كاتدرائية روان	كلود مونيه	٣٠ بـ
٩١	الحيوانات ( السيدة ليزا )	ليوناردو دافنشي	٣١
٩١	العشاء في عاموس " تفصيلية "	رمبرانت	٣٢
٩٢	الفلكي ( تفصيلية )	فيرمير	٣٣
٩٣	قارعة الخطاب ( تفصيل )	فيرمير	٣٤
٩٤	درس الموسيقى " تفصيلية "	فيرمير	٣٥
٩٥	روبنز	السيدة العجوز ووعاء الطهو	٣٦
١٠٠	طاحونة هواء في ويچك عند ديرستيد - ١٦٧٠	جاكوب فان رويسدال	٣٧
١٠٢	طريق ميدلهارينز المشجر - ١٦٨٩	ميندرت هوبيما	٣٨
١٠٤	فتاة تقرأ رسالة - ١٦٦٤ - زيت على قماش - متحف الفنون الجميلة - بودابست ، المجر	بيتر دي هوتش	٣٩
١٠٥	بطاقة اللاعبين في غرفة مضاعة بنور الشمس - ١٦٥٨ - زيت على قماش	بيتر دي هوتش	٤٠
١٠٦	سيده تقشر تفاحاً زيت على قماش - ١٦٦٣ - مجموعة والاس - لندن	بيتر دي هوتش	٤١
١٠٧	حفلة موسيقية في فناء - ١٦٧٧	بيتر دي هوتش	٤٢
١٠٨	زوجان يمشوا في قاعة المواطنين - ( ١٦٦٥ - ١٦٦٣ ) - أمستردام تاون هول - زيت على قماش - متحف الفنون الجميلة دي ستراسبورغ	بيتر دي هوتش	٤٣
١٠٩	الزوجان مع الببغاء - زيت على قماش - ١٦٦٨	بيتر دي هوتش	٤٤
١١٠	عاذف الفلوت - ١٦٣٥	جوديث ليستر	٤٥

١١١	صورة شخصية - ٦٥,٣ × ٧٢ سم - المتحف الوطني للفنون - واشنطن	جوديث لистر	٤٦
١١٢	رجل يقدم المال لامرأة شابة - ١٦٣٥ - ٣١ × ٢٤ سم ) - زيت على قماش - لاهاي	جوديث لистر	٤٧
١١٣	عيد القديس نيكولاوس - ١٦٦٠ - ( ٨٢ × ٧٠ سم )- متحف ريجكس، أمستردام ، هولندا	جان ستين	٤٨
١١٦	قصصية من بورتريه للفنان في سن الثالثة والستين - ١٦٦٩	رمبراندت	٤٩
١٣٣	الفيلسوف المتأمل ١٦٣٢ - زيت على قماش ٣٣×٢٩ سم - متحف اللوفر بباريس	رمبراندت	٥٠
١٣٤	عيد التجلي في المعبد أو تقدمه ١٦٢٨ يسوع الطفل إلى الهيكل -	رمبراندت	٥١
١٣٥	الفيلسوف أمام كتابه المفتوح - ١٦٣٣	رمبراندت	٥٢
١٣٦	الشيخ الجالس مستغرقا في تأملاته	رمبراندت	٥٣
١٣٧	طوبيت الضريح والد طوبيا	رمبراندت	٥٤
١٣٨	لوحة هوميروس - ١٦٥٣	رمبراندت	٥٥
١٣٩	بورتريه شخصي وهو في سن الثانية والخمسين	رمبراندت	٥٦
١٤٠	صورة شخصية - ١٦٦٠	رمبراندت	٥٧
١٤١	" الدكتور تولب يلقي درس التشريح " ١٦٩٥ - زيت على قماش ٢١٦,٥ × ٢١٦,٥ سم لاهاي	رمبراندت	٥٨
١٤٢	غارة الميليشيا أو غارة سرية الكابتن فرانز باننج كوك أو حارس الليل - ١٦٤٢ - زيت على قماش - ٣٦٣ × ٤٣٧ سم - متحف ريجكس - أمستردام	رمبراندت	٥٩
١٤٣	النبي أرميا يبكي دمار أورشليم - ١٦٣٠	رمبراندت	٦٠
١٤٤	تايتوس في زي راهب للفنان الهولندي رمبراندت - ١٦٦٠	رمبراندت	٦١
١٤٥	العشاء في عمواس - ١٦٤٨ - ألوان زيتية على توال ٦٨×٦٥ سم متحف اللوفر بباريس	رمبراندت	٦٢
١٤٦	بورتريه شخصي للفنان رمبراندت قصصية - ١٦٦١	رمبراندت	٦٣
١٦٢	الجغرافي - ١٦٦٨	يوهانس فيرمير	٦٤
١٦٣	الفلكي	يوهانس فيرمير	٦٥
١٦٤	فتاة تطالع رسالة أمام نافذة مفتوحة	يوهانس فيرمير	٦٦
١٦٥	الخادمة صاحبة الحليب - ( ١٦٥٨ )	يوهانس فيرمير	٦٧

١٦٦	الفتاة ذات الرداء الأزرق - ١٦٦٢ ( ٣٩ × ٥٤ سم ) - زيت على القماش - متحف ريكس بأمستردام	يوهانس فيرمير	٦٨
١٦٧	" صانعة المخرمات " أو " الدانتلا "	يوهانس فيرمير	٦٩
١٦٨	" الشارع الصغير "	يوهانس فيرمير	٧٠
١٦٩	" المصور في مرسمه " - متحف تاريخ الفنون بفينينا	يوهانس فيرمير	٧١
١٧٠	الفتاة ذات القرط اللولوي - ١٦٦٥	يوهانس فيرمير	٧٢
١٧١	سيدة تكتب خطابا	يوهانس فيرمير	٧٣
١٧٢	وازنة الذهب	يوهانس فيرمير	٧٤
١٧٣	المسيح في بيت مارتا ومريم زيت على قماش ( ١٦٠ × ١٤٢ سم ) - كاليفورنيا . ١٦٥٤ المتحف الوطني في اسكتلندا وادنبره	يوهانس فيرمير	٧٥
١٧٤		يوهانس فيرمير	(٧٦)
١٧٤	تصصيلية	يوهانس فيرمير	(٧٦)
١٧٥	امرأة شابة مع ابريق الماء ( ١٦٦٢ ) في متحف مترو بوليتان للفنون في نيويورك .	يوهانس فيرمير	٧٧
١٧٦	الفتاة ذات القبعة الحمراء - ١٦٦٥ - زيت على قماش ٢٢،٨ × ١٨ سم المتحف الوطني للفنون واشنطن	يوهانس فيرمير	٧٨
١٧٧	سيدة تمسك خطاب	يوهانس فيرمير	٧٩
١٨٢	الفارس باسم - ١٦٢٤ ، زيت على قماش ، ٦٧ × ٨٣ سم ، مجموعة والاس ، لندن	فرانس هالز	٨٠
١٨٣	اليوهيمية - ١٦٢٨ - زيت على قماش ٥٢ × ٥٨ سم - متحف اللوفر بباريس - فرنسا	فرانس هالز	٨١
١٨٤	مأدبة نقابة رماة سان جوريس - ١٦٣٣ ( ٣٣٧ × ٢٠٧ سم ) - متحف فرانس هالز ، في هارلم	فرانس هالز	٨٢
١٨٤	مأدبة نقابة رماة سان جوريس - متحف فرانس هالز ، في هارلم	فرانس هالز	٨٣
١٨٥	" السكير المرح " - ( ١٦٢٧ ) -	فرانس هالز	٨٤
١٨٥	مهرج يعزف على المزهـ - أمستردام	فرانس هالز	٨٥
١٨٦	القائمون على مستشفى سانت إليزابيث - ١٦٤١ - ( ١٥٣ × ٢٥٢ سم ) ، زيت على قماش - كاليفورنيا أنتويرب	فرانس هالز	٨٦
١٨٧	" الفيلسوف رينيه ديكارت " - ١٦٤٨	فرانس هالز	٨٧
١٨٧	" موسيقيان يعزفان "	فرانس هالز	٨٨
١٨٨	صورة لرجل	فرانس هالز	٨٩

## المقدمة

لاشك أن عنصر الضوء يلعب دوراً هاماً في تشكيل العمل الفني المرئي ، ويعتقد البعض أن وظيفته تعطية الفراغ كعنصر تصميم ، وفي رأى هؤلاء ، أنه مجرد بقع ضوئية لا هدف لها إلا مجرد إبهار المتلقى ، بينما يرى آخرون أنه عنصر زخرفة ، على أنه بالدراسة وجد أنه قد تدعى كونه مساحات أو بقع وزخارف تسهم في تحقيق الشكل الجمالي ، بل أنه وسيلة لتحقيق القيم التشكيلية والDRAMATIC للعمل الفني ، مما يدعم عمليةخلق والإبداع في إطار المنهج والتفسير المطروحين .

إن عنصر الضوء والظل قد اكتسبا عبر التاريخ الطويل للفن صفات أعم وأشمل ، أسهمت في مجموعها إبراز العديد من الدلالات الدرامية التي يطرحها العمل الفني ، فضلاً عن إضفاء القيم الجمالية الخاصة بالتكوين العام للصورة المرئية .

ولقد مر الضوء في مجال اللوحة التشكيلية ، بتطورات عديدة ، بدأت بكونه عنصراً من عناصر اللوحة ، يتساوي في الأهمية مع باقي العناصر ، ويتبع التكوين العام ، وفي مراحل أخرى تصدر كل العناصر ، وأصبحت هذه العناصر تابعة له ، وبرغم ذلك لم تتشابه قواعد وأساليب تناول هذا العنصر ، إذ بذلك الفنان جهده ليضيف إلى من سبقوه .

لقد وقف الضوء يوماً يناضل وحده لإثبات وجوده ، ثم تقاسم العمل الفني مع توأميه الظل ، فأبرز الفنان كل المظاهر الناجمة عن سقوط الضوء على الأشياء ، سواء ماينتج من ظلال ، أو التأكيد المعالم والملامح .

ولغة الضوء اتفق عليها الإنسان ، فالإحساس بالأمان في وجود الضوء والشعور بالخوف من ظلام الليل يعتبر أول إحساس نفسي لتأثير الضوء على الإنسان ، وهو بذلك يعتبر أهم قاعدة في قانون لغة الضوء .

وللغة الضوء عناصرها مثلها مثل أي لغة ويستطيع المصور من خلال هذه العناصر تكوين جمل ضوئية لها قدرة التأثير في الإنسان وقدرة التعبير عن المعاني والأحساس ومن هنا يصبح الضوء لغة يستطيع استخدامها للتعبير عن ما هو في نفوسنا .

وفي القرن السابع عشر سمات عامة وخصائص أثرت في اتجاهات الفن التشكيلي ، ووسعـت من نطاق الرؤيا وأضافـت إلى تجارب الإنسان في مضمـار الفنـون أشيـاء جـديـدة .

ففي هذا القرن أخذ الفرد كيانه كمحور للأشياء ، وتركـز البحـث حول الإـنسـان ، فأـصـبحـت نـظـريـاتـ القـانـونـ تـقرـ حـقهـ وـترـسيـ أـسـسـ حـريـاتهـ ، وـأـفـكارـ الـفـلـاسـفـةـ تـتـجـهـ إـلـيـهـ ، وـالـكـشـوفـ الـعـلـمـيـةـ تـمـضـيـ منـ أجلـ تـحـقـيقـ عـالـمـ أـفـضلـ لـلـإـنسـانـ .

وكان الاعتقاد السائد في هذا العصر أن الأرض هي مركز الكون ، وصاحب ذلك الاعتقاد أن الإنسان هو محور الأرض ، فاتجه البحث عما هو حول الإنسان ، ودار البحث حول الضوء ، واكتشف المنظار الفلكي والميكروسكوب وغيرها ، وأعقب بحوث جاليليو ما أحرزه نيوتن من نجاح عظيم في بحث مشكلة طبيعة الكون ، وظهور كتابة "المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية" ثم كتابة "البصريات" ومباحثه حول ظاهرة الألوان وإعادة تركيبها .

وإذ نلقي نظرة عامة على فنون هذا العصر نرى إلى أي حد أثرت روحه على تعبيره الفني ، فالفرد كما كان محور للفلسفة والعلم ، كان أيضاً محور للفن ومن هنا كان العصر عصر الصورة الشخصية في تعبيراتها المختلفة التي تمثل سياحة الفنان في العالم الخارجية والداخلية للإنسان ، ونرى ذلك في لوحات فرانز هالز ، كما نراها عند فيلاسكبيث ، ثم نتعجب الرؤيا الداخلية عند رمبراندت .

لقد كان ما يميز هذا العصر البحث الدائب حول الضوء والظل ، وعودة الفنان إلى الواقع وسياحاته في مجالات الطبيعة ، وبحثه عن التناقض المعبر وتنظيم الفراغ وتوزن حجوم الأشياء وانجدابها وارتباطها ، وهذه جميرا من مشكلات العصر العلمية التي انعكست على الفنون ، وقدمت حلولاً مختلفة للنور واللون والزمن والفضاء من خلال العمل الفني .

كما تميز هذا العصر بالعناية بالمنظر الطبيعي ، وذلك بعد أن زادت قوة العلاقة بين الإنسان والطبيعة ، فلم يعد المنظر مكملاً للموضوع ، وإنما أصبح منشوداً لذاته .

لقد أصبحت اللوحة في هذا العصر مسرحاً لالتقاء العديد من الاتجاهات والأساليب وتجميعها وصياغتها ، فلا نلحظ في الأعمال الفنية تأثير فنان بعينه أو اتجاهها واحداً قبل مانلهم مجموعة من التأثيرات جمعها الفنان وصاغها من جديد ، فمن خلال اللوحة الواحدة نرى أسلوب مايكيل أنجلو في الرسم يلتقي بأسلوب تيسيان في معالجة الألوان ونرى طريقة رافائيل في التكوين تجتمع مع ألوان كوريجييو.

وفضلاً عن ذلك تتتصير النظرة التصويرية في اللوحة على الاتجاه النحتي ، فمصور القرن السابع عشر سواء كان روبنز أم رمبراندت أم فيلاسكبيث تأخذه يقطة الحاسة البصرية نحو البحث في اللون والنور والظل التي تختفي معها معالم الأشكال التي تؤكد لها لوحات عصر النهضة ، وتسبح الأحجام في عالم من النور يخفى ثقلها وركائزها المؤكدة في الأعمال السابقة . وتنتجه براعة الفنان إلى إحداث تأثيرات واقعية على الرائي من خلال استخدام العناصر الطبيعية للإيحاء بملامس الأجسام والأشياء وخاماتها المختلفة .

ولقد كانت الأرضي الواطئة بإقليميها الشمالي " هولندا" والجنوبي " الفلاندر" مركزاً من مراكز الإشعاع الفني في القرن السابع عشر ، أمد الإنسانية بأفراد من أعظم عباقرتها ، وكانت عبقرية الأرضي الواطئة عبقرية تصويرية قدمت للعالم رمبراندت وفرمير إلى جانب فرانز هالز ومجموعة الأساتذة الصغار الهولنديين .

وحتى تتم هذه الدراسة من هذا البحث بثلاث مراحل أساسية ، المرحلة الأولى :تناول دراسة عن ما سبق عصر الباروك ، في محاولة لتوضيح التحولات الفكرية التي حصلت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في أوروبا ، ودراسة عن الملامح والأفكار التي سبقت القرن السادس عشر ومهنت له .

وقد بدأت الدراسة كمقدمة عن عصر النهضة الإيطالية صعوداً حتى عصر الباروك ، وقد وجد أن الفن كان قبل مجئ عصر النهضة فناً دينياً كنيساً لارتباطه الشديد بمؤسسات الكنيسة ، وهيمنته عليها ، وكانت الكنيسة في أساسها تنفر من كل ماهو وثني ، بل وتعارض إظهار مباحث الحياة في الأرض ، والدعوة إلى ملذاتها ، لأن الكنيسة ترى في مثل هذه الحياة المؤقتة ، مرحلة

تقدى الإنسان إلى حياة حقيقية يجب أن يعمل لها الإنسان حتى ينعم بالسعادة الأبدية في الدار الآخرة .

ومن هنا كان على الفن في تلك الفترة مسايراً هذه الأفكار والانحراف في تيارها ، فظلت الموضوعات الفنية محصورة في تصوير النزوات السامية وتمجيد حياة القديسين والرُّسل ، وإبراز قصص وحكايات استشهادهم ، والتركيز على تجسيد طهارة مريم العذراء ، ومعاني الكتاب المقدس ، بل ما يحويه من فضائل دينية ، كل ذلك في إطار لوني يدخل البهجة على النفس مع إسراف في استخدام اللون الذهبي . وهكذا كانت حال التصوير قبل النهضة .

وعندما جاء عصر النهضة بإنسانيته ، فسقطت كل الأقنعة التي كانت تحجب أنظار الفنان ، فاستطاعت عينه المتحررة اختيار المناظر الطبيعية ، ومظاهر الحياة اليومية جنباً إلى جنب مع الموضوعات الدينية .

لقد أصبحت الحرية التي يتمتع بها الفنان في اختيار موضوعاته وأسلوبه جعلت النظرة إليه تختلف كثيراً عن العصر الوسيط ، فبعد أن كان حرفياً أصبح فناناً مبدعاً ، وقد ظهرت رياح التغيير أول ما ظهرت في الفن الإيطالي الذي وصل إلى قمة تطوره وازدهاره ، بل أصبح العصر الذهبي للفنون التشكيلية ، وفيه ظهر وعاش عباقرة ، اعتبرهم العالم أعظم الأساتذة على مر التاريخ .

ومع نهايات هذه الفترة ، اعتقد الفنان أنه قد وصل إلى منتهاه ، وأن المشكلة دانت له بانتصاره على عنصر الضوء وواعيته .

لقد تشعبت المشكلة التي تم حلها إلى شقين ، احتار بينهما الفنان ، وأخذ يسأل نفسه ، هل أنمى عنصر الضوء وأركز عليه وحده ، وأظل أعمل على تطويره حتى أصل به إلى النهاية مضحياً بالشكل والتجسيم ، ومغفلًا للإحساس بالحجم والمادة ؟ أم أهتم بالشكل كأساس وأجعل الضوء مكملاً وتابعاً له ؟

لم يجد فنان القرن السادس عشر إجابة حاسمة لهذا السؤال ، فترك المشكلة برمتها لفنان القرن السابع عشر ، الذي سعى جاهداً للإجابة على كل هذه التساؤلات .

وتمر نفس المرحلة (المدخل) بالمتغيرات التي جدت على الحياة في عصر الباروك ،

حيث تناولت عصر الباروك من حيث معنى الباروك ، وتاريخ الباروك ، وعوامل ازدهار فن الباروك ، وخصائص فن الباروك ، والقيمة الحركية للمكان في فن الباروك ، ونظرة عصر الباروك إلى العالم ، وأثرها في تناول المكان .

وتبع ذلك دراسة مبسطة عن بعض رواد المدرسة الباروكية . ومنهم "بيتر بول روبنز" ، "فرانس هالس" ، و"أنطوان فان ديك" ، و"كارافاجيو" ، و"بيتر لويس لو نائين" ، و"رمبراند فان رين" ، و"جييان لورنزن" ، و"برنيني جاكوب جورданز".

كذلك عبر فنان الباروك عن اتساع نطاق العالم ، وإحساس الناس بضخامته ، واتساعه ، على ضوء الأدوات والأجهزة التي وسعت الأبعاد العلمية ونطاق الرؤية .

وقد رفض الإنسان الاكتفاء بأن يكون مجرد جزء ضئيل في هذا الكون ، وهذا الاهتزاز في مكانته أدى إلى أن يكون رد الفعل هو اهتمام أكثر بالفرد ، ليصبح محور الفلسفة والعلم والفن .

وفي المرحلة الثانية من البحث تم تناول القيم التعبيرية والرمزية للضوء وفن التصوير الهولندي ، وقد كان ذلك على محورين : الأول دراسة عن دراما الضوء ، حيث عالم الضوء ، والفرق بين كلمة الضوء وكلمة النور ، من حيث أن الضوء من الشمس أو أي مصدر ضوئي مباشر ، أما النور فهو إنعكاس للضوء ، وتم دراسة خصائص كل من الضوء والنور ، الفرق بين تأثير كل من الضوء والنور على الأشياء ، ولغة الضوء وتأثيرها على الإنسان ، والهدف من دراسة القيم التشكيلية والDRAMATIC للضوء في العمل الفني من حيث :

- ١- ما هو دور كل من اللون أو الضوء في عملية الخلق الفني ؟
- ٢- ما هو المردود البصري عندما يتزاوج العنصران بطريقة مدرستة .
- ٣- أثر الضوء في الصورة البصرية، ومدى ارتباط العمل الفني بالضوء .

فالكون في الأصل ظلام ، وضوء الشمس هو الذي يزيح هذا الظلام وينير الكون فالشمس هي مصدر الضوء الرئيسي ومصدر من مصادر الحياة على الأرض وبدونها ما كانت الحياة ممكناً على هذا الكوكب .

وحاسة الإدراك البصري عند الإنسان لا تستطيع أن تبصر بدون الضوء فالضوء هو الشرط الأساسي لكي يدرك الإنسان بصرياً العالم المحيط به والإنسان العادي يحصل على تسعين في المائة من أغلب المعلومات التي تصل إليه عن طريق البصر .

والضوء هو العنصر الأساسي لتحقيق الصورة الضوئية ويتوقف الشكل الفني للصورة على مدى استخدام الضوء في التعبير عن الموضوع .

كما تم البحث في الرمزية الكامنة في الإضاءة والظل ، حيث تلعب الإضاءة دوراً هاماً في تحقيق الغايات الفنية التي يطلبها الفنان التشكيلي، ونلخص هذه الغايات فيما يلي :

- التعاون مع عوامل أخرى لتحقيق السيادة للموضوع الرئيسي .
- التعاون مع عوامل أخرى لتحقيق التوازن .
- التعاون مع عوامل أخرى لتحقيق التأثير الدرامي .
- التعاون مع عوامل أخرى لإثارة الإحساس بالعمق الفراغي .

والمحور الثاني يتناول التصوير الهولندي ، مبتدءاً بمقديمة عن فن الأرضي الواطنة ، ثم تأثير الحروب الدينية والمنازعات السياسية على الفن الهولندي وطبيعة الموضوعات الهولندية مع بدايات القرن السابع عشر ، ثم أساليب الفن الهولندي ، والاقتصاد الهولندي ، والحياة والأدب في هولندا ، وانتهاء بالفنون الهولندية .